أثر 511: نظريات في علم الآثار

http://fac.ksu.edu.sa/asadig/node/6437

وصف المقرر ومحتوياته

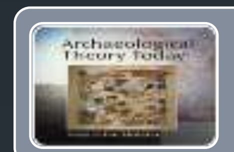
د. أزهري مصطفى صادق

وصفه

يبدأ المقرر بدراسة موجزة لتاريخ علم الآثار وتطوره، وتداخل المناهج والنظريات المستخدمة لتفسير الظواهر الحضارية خلال مراحل تطور العلم، وعلاقة ذلك بما حدث في العلوم الاجتماعية والطبيعية ذات الصلة، ثم يقدم وصفاً تفصيلياً لأهم النظريات والمناهج السائدة حالياً مع مناقشة نماذج تطبيقية لها تغطي فروع علم الآثار وتقويمها كاستئناس الحيوان وأصول الزراعة وبزوغ المدنيات وذلك في الإطار العام لدراسة التحول الثقافي.

أهدافه


تعريف النظرية في علم الآثار وتطورها.



طرق دراسة وتفسير الدلائل الأثرية باطر نظرية.


فهم طبيعة علم الآثار النظري.

مفرداته

الموضوع الأول: مقدمة: تعريف علم الآثار وتطوره
الموضوع الثاني: التفسير ألآثاري (نظريات علم الآثار)
مقدمة عن الآثار النظرية وأهمية تتبع التوجهات الفكرية عند للآثاريين.
الموضوع الثالث: التوجهات النظرية لآثاري القرن التاسع عشر ميلادي.
الموضوع الرابع: المدارس الفكرية في الآثار خلال النصف الأول من القرن العشرين الميلادي. مدرسة التاريخ الثقافي مراجعة التطورية . الانتشارية .....الخ .
الموضوع الخامس: التيار الحديث في علم الآثار ١٩٦٠-١٩٨٠م
الموضوع السادس: معالجة دراسية لموضوعات التغير الحضاري - حالة أصل الزراعة ونظريات: الحتمية البيئية (الواحات)، والحزام الطبيعي، الضغط السكاني، نظرية النظم.
الموضوع السابع: مـا بعد التيار الـحديث في علم الآثـار ١٩٨٠م .
الموضوع الثامن: دراسات متخصصة في الآثار النظرية:
الماضي الحي المعاش The living past
٩. الموضوع التاسع: التفسير ألآثاري والهُوية والسياسة

المراجع الرئيسية

Daniel، G. 1976. *Hundred and fifty years of Archaeology*. Harvard University Press، 1976 - Social Science
Fagan، B. 2009. *In the Beginning*. Prentice Hall
Gamble، C. 2008. *Archaeology: The Basics*، Routledge، London.
Renfrew، C. and Bahn، P. 2000. *Archaeology*، *theories*، *methods and practice*. Thames & Hudson

* بعض أجزاء هذا المقرر مأخوذة من كتاب تحت الطبع بعنوان مقدمة في علم الآثار. انتصار صغيرون الزين. جامعة الخرطوم. السودان

توزيع الدرجات

٦٠ للأعمال الفصلية + ٤٠ اختبار نهائي

الموضوع الأول: مقدمة: تعريف علم الآثار وتطوره

تعريف كلمة اركيولوجيا Archaeology:

ا. تعريف كلمة اركيولوجيا Archaeology:

كلمة اركيلوجي (Archaeology) مشتقة من الكلمتين اليونانيتين (Archaios) و (Logos) وتعني الأولى قديم أو عتيق بينما الثانية تعني علم أو دراسة ومن هنا أتى تفسير اركيولوجيا بأنه العلم الذي يقوم بدراسة المخلفات العتيقة. هذا وقد كان قدماء اليونان والرومان قد استخدموا كلمة آركيلولوغ للدلالة على كل ما يتعلق بالمسائل والموضوعات القديمة، مثل عهود التاريخ القديمة أو التاريخ بوجه عام. ثم ظهرت كلمة آركيلوغ في القرن الأولي الميلادي لتعني صنف من الممثلين " ممثلي الدراما بالإيماء " والذين يمثلون الأساطير القديمة علي المسرح وذلك في البلدان التي تتكلم الإغريقية وهو استخدام عرضي واندثر وان لم تندثر أو تنتهي العلاقة بين علم الآثار والمسرح. بُعث هذا الاسم من جديد في القرن الـ 17 بواسطة جاك سبون وهو طبيب ونشر كتابا بعنوان " رحلة ايطاليا ودلماسيا يوغسلافيا وبلاد الإغريق والشام" عام 1689م وكتاب أخر يصف منوعات غنية من الشرق.وقد كان يتأرجح بين كلمتين:1. اركيولوجيا 2. اركيوغرافيا ومن الواضح إن الأولى هي التي سارت وذهبت الثانية في طي النسيان.

أما حديثاً فلم نجد اثنين من الآثاريين متفقين علي معني واحد للآثار وحتي القواميس العالمية ليست فيها اتفاق كامل علي الرغم من الالتقاء بينهما في بعض النقاط مثل اعتبار ان الآثار علم يهتم بدراسة الماضي. وبصفة عامة تتفق المصادر على أنه علم يدرس التاريخ القديم بصفة عامة ويقدم وصفاً تفصيلياً للمخلفات الأثرية كما أنه يعنى بالدراسة العلمية للمخلفات الآثارية والحضارية لفترة ما قبل التاريخ. ويجب الانتباه إلى أن هذا الوصف التفصيلي للمخلفات ليس وصفاً المخلفات الأثرية لذاتها كما كان علم الآثار التقليدي، وإنما هو وسيلة لتسليط الضوء علي ماضي الإنسان في مرحلة ما قبل التاريخ والفترة التاريخية وذلك من خلال المخلفات العظمية والأدوات التي صنعها الإنسان.

يربط الكثيرون علم الآثار بالكنوز المدفونة وبالأهرامات والمدافن المختلفة، كما هو الحال في كثير من البلاد العربية حيث لا يصدق المواطن العادي إن التنقيب داخل الخرائب يهدف لدراسة علمية لا علاقة لها بالذهب ونفائس اللقيا. وفي أروبا يعتقدون أن علماء الآثار هم

أبطال رومانسيون غريبي الأطوار ودائماً ما يصورون كعلماء مذهولين ومنغمسين بشدة في تفاصيل الحياة القديمة لدرجة أنهم لا يهتمون بضغوط ومشاكل الحياة المعاصرة. بينما يري آخرون أن علم الآثار يفتح الباب إلى عالم الإثارة وذلك من خلال الاكتشافات المهمة مثل مقبرة توت عنخ آمون بواسطة الانجليزي هاوارد كارتر (Howard Carter) في العام 1922م. وهذا جزء من جاذبية هذا العلم حيث نجد خليط من الخطر وأعمال تحري مما جعله مطية لكتاب الروايات وصانعي الأفلام من أجاثا كرستي (Christie Agatha) في روايتها جريمة في بلاد الرافدين (Murder in Mesopotamia) إلى إستيفن سبيلبيرج (Spielberg) مع إنديانا جونز. كما يرى البعض أنهم يقضون معظم أوقاتهم في حل الغاز كبيرة واكتشاف حضارات ضائعة ، علي الرغم من ان القليلين جدا من اكتشف مدفن ملكي او حضارة منسية حيث يقضي معظمهم جل حياتهم في التنقيب في مواقع ذات أدوات حجرية وفخار وبقايا عظام آدمية أو حيوانية. ومهما يكن فمازال هذا العلم موضوعا جذاباً، وأصبح علم الآثار الحديث يطبق المنهجية العلمية كما انه يتكون من مدي عريض من المناهج العلمية والتقنيات لدراسة الماضي التي تستخدم بطريقة منظمة ودقة متناهية كما سنورد لاحقاً.

أهداف علم الآثار

يتفق الآثاريون باختلاف تخصصاتهم بان هنالك أربع أهداف رئيسيه لعلم الآثار:

1. دراسة المواقع ومحتوياتها في صياغها الزمني والمكاني ثم اشتقاق تسلسل الثقافة الإنسانية: ونعني بهذا إعادة بناء التاريخ الثقافي. وبفحص مجموعه من مواقع ما قبل التاريخ والأدوات الموجودة فيها يصبح بالإمكان وضع تسلسل محلي وإقليمي للثقافات الإنسانية لآلاف السنين. ويرى بعض الآثاريون ان هنالك جوانب غير ملموسة مثل الدين والتنظيم الاجتماعي بالإضافة الى مشكلة الحفظ الضعيف في التربة لبعض الأدوات مما يقلل من إمكانية هذه العملية بصورة مكتملة.
2. إعادة بناء طرز حياة الماضي: وفي هذا المجال فقد تطورت دراسة الطرق التي صنع بها الإنسان معيشته في الماضي، وأصبحت هدف رئيسي منذ ثلاثينات القرن العشرين، حيث أدرك العلماء في هذه الفترة ان الإنسان قد عاشه في خلفيه معقده من المناخات المتغيرة فكل ثقافة إنسانيه هي تكيف معقد ومتغير بظروف مناخيه معينه

3. دراسة عمليه الثقافة وشرح أسباب التغير: وهنا الهدف أن نشرح لماذا وصلت الثقافات الإنسانية في كل أنحاء العالم لهذه المراحل المتنوعة. ينظر العلماء إلى الأدوات كجزء من نظام ذو ظواهر مترابطة والذي يضم الثقافة والبيئة الطبيعية وهنا يجب أن تكون مناهج البحث أكثر صرامة من قبل وان يخطط الآثاريين لعملهم البحثي ضمن إطار من الافتراضات التي يمكن اختبارها ودعمها وتعديلها أو رفضها عند مراجعة المعلومات المستقاة من الحفريات.
4. فهم السجل الأثري بما فيه من مواقع وأدوات والتي هي جزء من عالمنا المعاصر وندرسها كجزء منه.

الآثار كعلم

قبل قرن ونصف كان الاعتقاد السائد أن العالم قد خلق في 4004ق.م وذلك بحسب حساب ترتيب الأنبياء في الإنجيل، وعليه فإن أي معلومات عن العالم القديم يجب ان نبحث عنها في كتابات المؤرخين الأوائل في الشرق الأدنى مصر واليونان. هذا يعني الفترة التاريخية فقط والآن نحن ندرك انه توجد حياة قبل تلك الفترة لأننا تعلمنا ان نسأل أسئلة صحيحة وطورنا مناهج للإجابة عليها والسبل التي ننظر بها الى الماضي. ومن ثم فقد أدرك العلماء أن تاريخ علم الآثار هو تاريخ أفكار نظرية و تاريخ تطور مناهج والتي تتضمن هذه الأفكار وفحص هذه الأسئلة وتاريخ الاكتشافات الحقيقية. يجري العلماء الحفريات، التي قد تكون في الصحاري أو المناطق القطبية أو تحت البحار. ثم تأتي مهمة التفسير لفهم معنى هذه الأشياء للتاريخ الإنساني. ثم مهمة الحفظ والصيانة للإرث الثقافي ضد السرقة، والنهب، والتدمير بسبب الإهمال. ومن هنا ندرك أن علم الآثار يشمل:

1. نشاط جسدي في الحقل أي عملي
2. متابعة فكرية داخل قاعة الدرس أو المعمل
3. الحفظ والصيانة

يساهم علم الآثار في كثير من الجوانب المهمة في حياة الإنسان ويعنى بالبحث عن المعرفة وعن أنفسنا وماضينا. إذاً ما هي علاقة هذا العلم بالعلوم التي تهتم بتاريخ الإنسان مثل الأنثربولوجيا والتاريخ. وهل الآثار نفسها علم وما هي مسئوليات علماء الآثار اليوم وهل يستغل الماضي لخدمة أغراض سياسية، والمسائل العرقية أو للقضاء على العرقيات الأقل وتدمير إرثها الثقافي؟ كل هذه المواضيع سيجدها الطالب في الفصول اللاحقة.

علي الرغم من ذلك فان معرفة كف تفسر المخلفات المادية هي واحده من التحديات التي تواجه الآثاريين اليوم.كيف استخدمت هذه الأواني الفخارية لماذا بعض المساكن دائرية الشكل؟ وأخرى مربعة. وهنا تتداخل مناهج الآثار مع الاثنوغرافيا. قام الآثاريون في العقود الحديثة بتطوير ما يسمي بالآثار الحية (Ethnoarchaeology) وذلك بملاحظة المجتمعات التي تعيش بتقنيات قديمة لفهم كيفية استخدامهم للثقافة المادية. كيف صنعوا الأدوات والأسلحة ولماذا بنوا مساكنهم حيثما هي. أضف إلى ذلك دور الآثار في مجال الحفظ حيث نجد دراسة المدونات تمثل مجال نامي. وذلك بعد ملاحظة تناقص الإرث الثقافي كمصدر والذي يحمل معاني مختلفة عند المجموعات المختلفة.

المهارات التي يحتاجها الآثاري

احتاج الآثاريون الأوائل مع حبهم للبحث في الماضي، الى مؤهلات بسيطة مثل الخبرة في الحفرية والمقدرة على تصنيف الأدوات، وقد أصبح علم الآثار الحديث معقداً لدرجة انه يوجد أفراد قليلون يجيدوا كل المهارات التي نحتاجها لتنقيب مدينة كبيرة او حتى مستوطنة ذات حجم متوسط.

1. المهارات النظرية: يجب على الآثاري ان يتمكن من تحديد مشكلة البحث في سياقها، وأي شيء معروف عنها. لا تضم هذه المعرفة فقط الوضع الحالي للبحث في مشكلة معينة مثل أصل البشرية أو المستوطنات الأولى في أي مكان، ولكن أيضاً آخر التطورات النظرية والمنهجية في علم الآثار والتي يمكن أن تؤثر على تعريف وحل المشكلة.
2. الخبرة المنهجية: أن تكون لدى الآثاري المقدرة على تخطيط المناهج التي يستخدمها في البحث للوصول الى الأهداف النظرية التي وضعت اولياً. يتضمن هذا المقدرة على الاختيار بين مناهج جمع المعلومات وأي مناهج تحليلية ستكون أكثر فائدة للمواد التي يتعامل معها. كذلك التقرير فيما يخص الحفرية، اختيار نظام اخذ العينات، والحفر، والتسجيل ، والتعامل مع حالات الحفظ الخاصة كما يتضمن اختيار أصحاب التخصصات الأخرى مثل الجيولوجيا، وعلم الحيوان....الخ.
3. المهارة التقنية: ان الحفرية العلمية لأي موقع تتطلب أكثر من المقدرة على اختيار طريقة او نظام للتسجيل يحتاج المرء لينفذها تحت ظروف العمل. تتطلب الحفرية من الآثاري دقة كبيرة في المقاسات والحفرية، والاستعانة بعمال

مهرة (الذين عملوا مع البعثات لفترة فاكتسبوا بعض مهارات الحفر) وغير مهرة، وتحقيق نظم الكشف عن الأدوات الذي يحفظها من لحظة اكتشافها وحتى وصولها المعمل. يقع على عاتق الآثاري الحقلي ان يقوم بدور المشرف، والمساح، والمسجل، وعالم التربة...الخ. كما عليه أن يستعد للتعامل مع الأوضاع الغير متوقعة.

4. المهارات الإدارية: يتطلب علم الآثار الحديث درجه عاليه من المهارة الإدارية والتنسيق من نشاطات المتخصصين من العلوم الأخرى وينظم مجموعات الطلاب المتطوعين والعمال وجلب المال من مصادر خارجية كما يجب عليه ان يجهز الاذونات والأدوات المكتبية وأدوات الحفر بالاضافه إلى إجراء الحسابات كما يجب ان يكون خبيرا في العلاقات الإنسانية وان يجعل المجموعات سعيدة فالجانب الدبلوماسي في الحفرية الآثارية دائماً مهمل.
5. المهارات الكتابية التحليلية: ان أي حفرية هي تحطيم نهائي لأرشيف لا يمكن استعادته والعودة به إلى شكله الأصلي، وعليه ان مسؤولية الآثاري ليست تحليل فقط في المعمل بل وضع تقرير مفصل عن العمل الميداني. ومن المؤسف ان الكثير من الرفوف في المتاحف العالمية تمتلئ بالمعثورات من الحفريات التي لم تنشر واي موقع لا ينشر عنه فهو قد فُقِد نهائيا.

تاريخ تطور علم الآثار

1. مرحلة التأملات الفلسفية:

نما علم الآثار كنظام علمي في القرون الأخيرة ومازالت مبادئه الأساسية محل جدال ،ولكن الاهتمام الفلسفي في ما قبل التاريخ يعود إلى ما قبل القرن الثامن عشر الميلادي. فقد تحدث الإغريق والرومان عن اصل الإنسان وعن تنوع البشرية ، حيث كتب هوميروس عن الماضي البطولي المشرق للملوك والمحاربين القدامي في الزمن الذي كانت فيه الآلهة تتجول بحرية وسط البشر ، وقبل إلياذة هوميروس وفي القرن الثامن ق.م تحدث هسيود (Hesiod) عن الإنسانية في كتابه الأعمال والأيام (Works and Days) ومرورها بخمس مراحل رئيسية في التاريخ:

1. عصر الذهب: عصر الخالدين الذين يسكنون في سلام مع مواشيهم وتباركهم وتحميهم الآلهة

2. عصر الفضة: وفيه كان الإنسان أقل شرفاً
3. عصر البرونز: وهو العصر الذي سكن فيه إنسان نبع من رماد الأشجار يحبون الحرب وأسلحتهم من النحاس وكذلك أدواتهم.
4. عصر أبطال الملاحم: وهم أحسن حالا من السابقين.
5. عصر الحديد: والذي لم يرتاح فيه الناس من الحروب والصراعات.

2. عصر النهضة:

شهد عصر النهضة العودة لحب الاستطلاع الفكري ، ليس عن البشرية وحدها ولكن عن العالم الكلاسيكي ايضاً. وقد بدأت المجموعات الثرية التي لديها أوقات فراغ متابعة طرق علماء النهضة والسفر في أراضي اليونان والرومان ، يدرسون العاديات ويجمعون نماذج من الفنون الكلاسيكية ، ونفس هؤلاء الرحالة قاموا بحفريات غير مشروعة للحصول علي التماثيل الجملية من المعابد القديمة والقصور الرومانية. وسريعاً ما أصبحت خزائن الجامعين مليئة بالأدوات الفنية الجميلة وأصبحت دراسة الفن الكلاسيكي مسئولية علمية رئيسية. بدأت مرحلة جديدة في دراسة علم الآثار الكلاسيكية عندما أرسل ملك الصقليين اثنين من مملكته لحفر المدينة الرومانية الشهيرة هيركيولانيوم (Herculaneum) في عام 1738 م جاعلاً منه نظام يتعامل مع الفن والعمارة وقد كشفت هذه الحفريات عن تفاصيل كاملة لمدينة رومانية دمرها بركان ريسافيس (Resavius) عام 97 م.

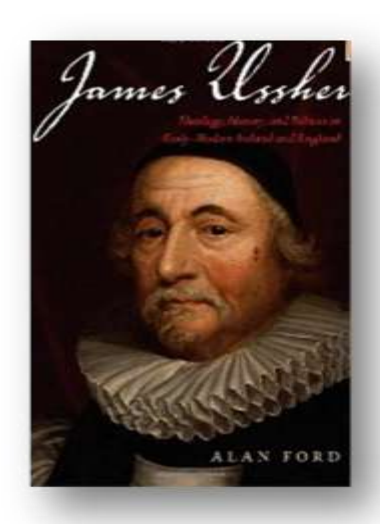


3. المنقبون الأوائل وجامعي التحف:

كان العديد من جامعي التحف والعلماء الأوائل من بريطانيا وفرنسا ، وألمانيا.

4. الكتاب المقدس والاحفورات:

احد اسباب تشويش دراسي العاديات القدامي في القرنين 17–18 م هو انهم لا فكرة لديهم عن المدة التي عاشها الإنسان في الأرض ، ليست لديهم سبل للتوريخ او التصنيف للأدوات في خزائنهم ، في ذلك الوقت آمن الناس بما ذكر في سفر التكوين عن قصة الخلق ، حيث ذكر في



العهد القديم ان الله خلق العالم وسكانه في ستة أيام وقصة آدم وحواء هي التفسير لخلق البشر وتعمير الأرض.

في القرن السابع عشر الميلادي قام الأسقف جميس أوشر (Ussher) بحساب تاريخ الخلق في الأرض الذي سجله في هوامش نسخة من الإنجيل وذكر أنها ترجع إلى 23 أكتوبر 4004 ق.م والذي أصبح شريعة وقانون عقائدي جاعلاً تاريخ البشرية لا يتعدى 6000 عام مضت.

5. إسهام الجيولوجيا في علم الآثار

يعتبر اكتشاف تصاحب عظام الإنسان والأدوات الحجرية مع الحيوانات المنقرضة هو الإسهام الكبير الذي قدمه علم الجيولوجيا لتطور علم الآثار في بداية القرن التاسع عشر. وقد لاحظ هذا الأمر العالم الألماني جون فردريش (John Fredrich Esper) الذي اكتشف في كهف في ألمانيا بالقرب من بامبيرج (Bamberg) عظام إنسانية مع عظام دب كهف وحيوانات أخرى منقرضة ونشر اكتشافاته من خلال تقرير تساءل فيه عن أصحاب هذه العظام، هل هم الدروديين (Druids) أم ما قبل الطوفان. وافترض ان عظام الإنسان هي من نفس زمن المتحجرات.

بدأت تظهر بعد ذلك الكثير من الاكتشافات لعظام الحيوان والإنسان في مختلف الدول في بريطانيا وألمانيا وفرنسا. في ذلك الوقت كان ذكر جون فرير (John Frere) ان الإنسان حياته موغلة في القدم، وقد وجد معارضة في ذلك الوقت لان العقل البشري كان مقتنعا بان اصل وتطور حياة الإنسان هي ما ذكر في العهد القديم "قصة الخلق".

ونلخص هذه المفاهيم التي ظهرت في الستين سنة الأولى من القرن التاسع عشر والتي حطمت مفاهيم الخلق السابقة وهي:

1. التأكيد بالدليل علي قدم الإنسان بإيضاح تصاحب عظام الإنسان والحيوانات المنقرضة

2. ظهور عقيدة الاتساقيين (Uniformitarian) بجانب تكوين مبادئ علم الجيولوجيا " شارلس ليل"

3. اشتهار نظرية داروين " اصل الأنواع "

4. تطور التاريخ القديم وذلك بوضع التقويم الدنماركي " نظام العصور الثلاثة "

6. اكتشاف نظام العصور الثلاثة:

كان تصنيف الماضي مشكلة رئيسية للدارسين والمنقبين الأوائل الذين واجههم خليط من التلال الجنائزية والمستوطنات ولم يكن لهم وسيلة لتقسيم او قياس الماضي ، ومنذ نهاية القرن السادس عشر كان هناك علماء يكتبون عن عصور ما قبل التاريخ مثل الحجري والبرونزي والحديدي. ثم قام علماء الآثار الاسكندنافين بتحسين وتهذيب هذا المفهوم بواسطة بروفيسور نيرب (Rasmus Nyerub) مندوب جامعة كوبنهاجن، وهو الذي قام ببناء المتحف الوطني الدنماركي وقد كان يشتكي من مشكلة عدم المقدرة علي قياس وفهم المجموعات الآثارية بعد ان تم جمع مجموعة من الأدوات من مختلف المناطق الأثرية. وبمساعدة أمين المتحف " كرستيان تومسون " (Thomson) قام بوضع المجموعات المتحفية في ترتيب من ثلاثة مجموعات تمثل العصر الحجري العصر البرونزي العصر الحديدي. ثم قام " جي آي وورسي " (G. I. Warse) بدراسة هذا التقسيم واضح بأنه يتطابق مع الطبقات التي عثر فيها على الأدوات. وقد تم تبنيه كأساس لتصنيف مواقع ما قبل التاريخ حتى اليوم.



8. تطور علم الآثار من نهاية القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين

تطورت تقنيات العمل الميداني في نهاية القرن التاسع عشر بمنهجية علمية لدراسة علم الآثار وكيفية إجراء الحفريات العلمية بطرق علمية مدروسة ، كذلك ظهرت شخصيات رئيسية لعبة دور مهم وفعال وأسهمت في خلق وإيجاد مناهج للعمل الحقلي مازالت مستخدمة حتى الآن ، كما ظهرت الدراسة الدقيقة للحفرية الآثارية بكل موجوداتها من أدوات ومخلفات مادية وثقافية ، كذلك تطور نظام الحفظ والتسجيل والتحليل.

أما في القرن العشرين فقد بدا الاهتمام بتأسيس تقويم إقليمي لعلم الآثار، وفي المناطق التي ازدهرت فيها الحضارات بدأت أبحاث جديدة واكتشافات لملء التسلسل الزمني. وهناك أعمال فلندرز بتري في مصر تبعتها الاكتشافات العظيمة بواسطة هوارد كارتر الذي عثر علي مقبرة توت عنخ آمون عام 1922 م. كما قام علماء ما قبل التاريخ بدراسة ما قبل التاريخ في أوربا وشمال أمريكا في النصف الأول من القرن العشرين، ومن هؤلاء جوردن جايلد (Gordon Childe) وهو استرالي الجنسية (1892 – 1958 م) فكتب عن ما قبل التاريخ في أوربا وفي العالم القديم. أما في أمريكا فقد كان هناك ربط بين علمي الانثربولوجيا والآثار خاصة عند دراسة هنود أمريكا. كما حاول جايلد الإجابة علي أسئلة أخرى مثل لماذا قامت الحضارة في الشرق الأدنى في الوقت الذي كان فيه معاصريه مهتمين بتأسيس التقويم والتسلسل الثقافي ، وبعد أن جاء جوليان استيوارد 1920–1972 م كان أكثر المفكرين في أمريكا الشمالية تأثيرا مثل جايلد حيث كان مهتما بشرح التغير الثقافي وقد القي الضوء علي حقيقة الثقافات الحية وقام بدراسة طرق التكيف مع المناخ وخرج بماء اسماه البيئة الثقافية. وجاء البريطاني جراهام كلارك وقام بتطوير مدخل بيئي يتناسب مع العمل الحقلي حيث دعا إلى أن دراسة كيف ان تكيف الإنسان مع البيئة يمكننا من فهم ملامح كثيرة من المجتمع القديم ومن هذه الأعمال وغيرها نما حقل كامل من إعادة بناء الماضي من دراسة المناخ والغذاء.

اتجاه آخر في فكر تلك الفترة هو إدراك ان دراسة الأثنوغرافيين للمجتمعات البدائية في مختلف أنحاء العالم يمكن ان يكون بداية مفيدة للآثاريين الذين يسعون لفهم طرز الحياة عند السكان الأوائل. وفي نفس الوقت كان الأثنوغرافيين والأنثربلوجيين يقدمون مقترحاتهم عن تطور الإنسان وتقدمه.

ومن التطورات الرئيسية التي حدثت خلال الثلاث عقود الممتدة من 1970–1980–1990م ، هو إدراك ان علم الآثار لديه الكثير ليهتم به في الفترات التاريخية الحديثة مثلا في أمريكا الشمالية (مستوطنات فترات الاستعمار وما بعدها) واستراليا. نجد ان علم الآثار التاريخي قد توسع كثيرا كما هو الحال في أوربا. وتأتي وسط هذه التقسيمات الزمني تخصصات يمكن ان تساهم في كل الفترات مثلا علم آثار البيئة (Environmental Archaeology) ، مثال آخر (Underwater Archaeology) مثال ثالث (Ethnoarchaeology) والذي هو تخصص رئيسي في علم الآثار الحديث.

أسئلة نموذجية:

- عرف علم الآثار.
- بين باختصار اهمية علم الآثار.
- يتفق الآثاريون باختلاف تخصصاتهم بان هنالك أربع أهداف رئيسيه لعلم الآثار. ناقش.
- بين باختصار اهمية علم الآثار كعلم من العلوم الانسانية.
- هناك عدة مهارات تميز الباحث العامل في مجال الآثار ، بين ما نعنيه بالمهارات النظرية.
- بين باختصار اهمية المهارات التقنية والادارية والتحيلية للباحث الآثاري.
- مر علم الآثار في تاريخه بعدة مراحل. بين ما تعنيه مرحلة التأملات الفلسفية.
- كان تصنيف الماضي مشكلة رئيسية للدارسين والمنقبين الأوائل الذين واجههم خليط من التلال الجنائزية والمستوطنات ولم يكن لهم وسيلة لتقسيم او قياس الماضي. بين ذلك من خلال ما تعرفه عن ابتكار نظام العصور الثلاثة.
- بين باختصار اهم مراحل تطور علم الآثار خلال القرنين التاسع عشر والعشرين.

الموضوع الثاني: التفسير الآثاري (نظريات علم الآثار)

مقدمة:

عندما يجد الآثاري دليلاً في حفرياته تكون لديه ثلاثة أهداف:

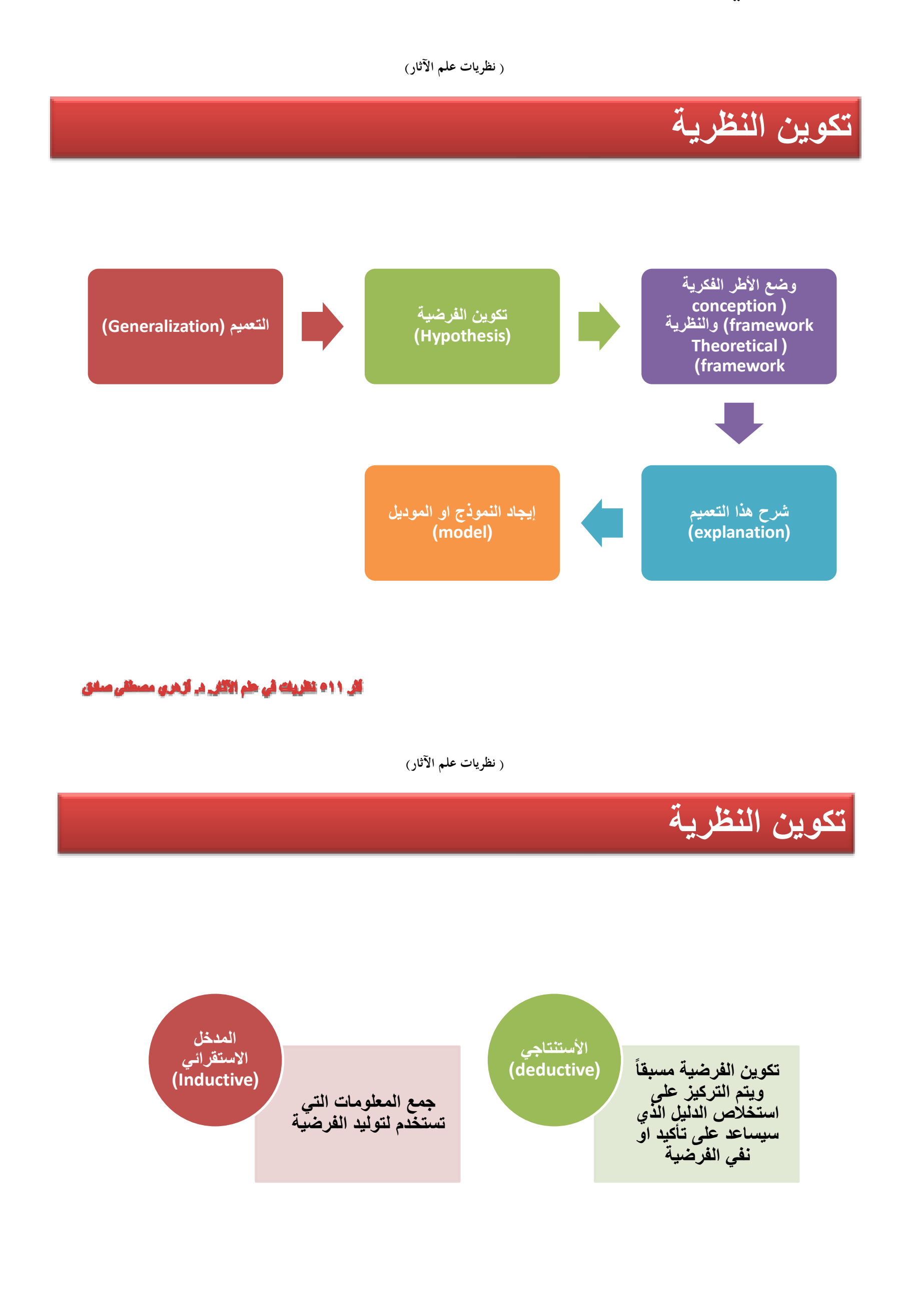
1. وصف الحياة في المجتمعات القديمة
2. وضع الوصف في إطار زمني.
3. محاولة شرح كيف يتواصل المجتمع وكيف يتغير ولماذا. وهذا الهدف الثالث هو مكون هذا المقرر. فقد وضعت النظريات من قبل الباحثين والعلماء لحل معضلات اساسية معتمدين على الأدلة الآثرية المختلفة من مواقع مختلفة؛ سكن، ومدافن، ونشاط إقتصادي... الخ. والغرض منها ايجاد تفسيرات منطقية للمعطيات الاثرية المختلفة والسمات الثقافية المختلفة. فنشأت عدة مدارس قديمة وحديثة مثل المدرسة الأمريكية التي تنتهج منهج علم الآنثربولوجيا وترى الآثار فرع من فروعه، بينما المدرسة الأوربية تقدم التاريخ وتجعل الآثار إمتداداً له.

يدرس الطالب النظريات لمعرفة الأساس الذي إعتمدت عليه كل مدرسة في القيام بالتحليل الآثاري ومدى صحة وجهة نظر المدرسة، كما تُولد فيه إمكانية الاستنتاج ومعرفة اساسيات التحليل الآثاري واهمية الدقة في الاستنتاج. أيضاً تمكن الطالب مستقبلاً من فهم الكثير من المشاكل التي تواجهه أثناء البحث الأثري مع امكانية البحث العلمي. كما يتمكن الطالب من نقد العديد من النظريات التي انتهج واضعوها مناهج غير علمية والتي حكمت بالنزعات الخاصة للباحثين او بلادهم. وتعطي النظريات الطالب الفرصة لدراسة نظم الحياة الأجتماعية الثقافية ، والعادات والتقاليد عند المجتمعات القديمة ومحاولة ربطها بالمجموعات المعاصرة لتقييم مسيرة تطور الإنسان الثقافية والأجتماعية.

تكوين النظرية

تبدأ عملية تكوين النظرية بالتعميم (Generalization) ثم تكوين الفرضية (Hypothesis) ثم نضع الأطر الفكرية (conception framework) والنظرية (Theoretical framework) لشرح هذا التعميم (explanation) وإيجاد النموذج او الموديل (model)وهو المفهوم المستخدم لتفسير المعطيات. يستخدم العلماء مدخلان الإستقرائي (Inductive) والأستنتاجي (deductive). يعتمد الأول على جمع المعلومات التي تستخدم

لتوليد الفرضية؛ اما الثاني فيتم تكوين الفرضية مسبقاً ويتم التركيز على إستخلاص الدليل الذي سيساعد على تأكيد او نفي الفرضية.



اسئلة نموذجية

تمر النظرية بعدة مراحل تكوين. بينها.

عرف المصطلحات التالية: المنهج الاستقرائي. المنهج الاستدلالي

الموضوع الثالث:التوجهات النظرية لآثاري القرن التاسع عشر ميلادي والمدارس الفكرية في الآثار خلال النصف الأول من القرن الميلادي الماضي

(1)

اهتم الناس منذ القديم بتاريخ الانسان وعصوره القديمة. ومنذ العصور الوسطى في اوربا تم تشكيل مفاهيم رئيسية أثرت الى حد ما في التفسيرات النظرية خلال القرن التاسع عشر حيث كان معظم الناس من ذوي الاطلاع الواسع يعتقدون بأن الكون وما عليه خلق قبل حوالي بضعة آلاف من السنين (في العام 4004 قبل الميلاد) بحسب ما جاء في التوراة ، وأن لا وجود لفترات تاريخية قبل تاريخ ظهور الكتابة ، وأن قصص الخلق والأحداث التي ترويها مؤلفات المؤرخين الأوائل هي كل ما يجب معرفته عن العالم القديم ، خصوصا تلك التي وردت من منطقة الشرق القديم ومصر وبلاد الإغريق . وكان ينظر لتاريخ علم الآثار على أنه تاريخ الاكتشافات العظيمة :مثل اكتشاف قبر "توت عنخ أمون" في مصر ، واكتشاف بقايا أقدم أنواع الجنس البشري في "أولدوفاي" في تنزانيا ، واكتشاف مدن "المايا" المفقودة في المكسيك ، واكتشاف الرسومات الملونة في كهوف العصور الحجرية مثل ، كهف "لاسكوس" في فرنسا ، واكتشاف مدينة "أور" في العراق ... ألخ ، واستمر هذا الاعتقاد في العقود الأولى من القرن العشرين .

وقد حفز مجيء عصر النهضة الاهتمام بالماضي ولكنه كان مركزاً على جمع التحف والنظريات الرومانسية عن مصدرها. ومع بداية القرن 19 بدأت العناصر الأولى من الدراسة المنهجية الفعلية للحضارات القديمة. مع ذلك كان معظم الآثارين ولعدة سنوات مقتنعين تماماً بل مكتفين بالإجابة علي أسئلة أسهل وأكثر بساطة ويتجاهلون الأسئلة الصعبة أو يطرحونها جانباً بتفاسير بسيطة. وظهرت في تلك الفترة فكرة التطور التي وصفها شارلس داروين في كتابه اصل الأشياء 1859م والذي قدم تفسيراً كان مقبولاً في ذلك الوقت لاصل وتطور الإنسانية والتي كان لها تأثير علي علماء الآثار في تلك الفترة وساعدت علي وضع الأساس لدراسة تطور الأدوات (Typology) (وضع الأدوات في أنواع تتقاسم نفس خصائص المادة ،الشكل، والزخرفة).

نظرية التطور:

كان لنظريات النشوء دورا بارزا في تطور التفكير الأثري . في البداية ارتبطت النظرية باسم " داروين" الذي فسر بشكل فعال مسألة أصول وتطور الأجناس النباتية والحيوانية في كتابه الذي صدر عام 1859 بعنوان "حول أصول الانواع. وتتحدث نظرية داروين عن وجود تنوع داخل

الأجناس ، كل جنس يختلف عن الأخر ؛ وأن انتقال الصفات الفيزيقية يكون بالوراثة ؛ وأن الاختيار الطبيعي هو الذي يحدد بقاء المرء أو الشيء.

وكان لأراء داروين تأثير مباشر على الأثريين أمثال بت ريفرز وجون ايفانز الذين وضعوا أسس دراسة وتصنيف الأدوات . وكان تأثير نظريات أصول الأنواع أكبر عند المفكرين الاجتماعيين والانثربولوجيين أمثال (كارل ماركس) الذي أيضا تأثر بأفكار الانثربولوجي (مورجان). وفي بداية النصف الثاني من القرن العشرين نجد في كتابات الانثربولوجيين (Leslie White) و (Julian Stewaed) رفض لنظرية الاصطفاء التاريخي ، طالبين التعميم للحصول على تفسيرات للتغير بعيد المدى .

(2)

المدارس الفكرية في الآثار خلال النصف الأول من القرن الميلادي الماضي وبداية القرن العشرين:

نموذج: التاريخ الثقافي او تاريخ الثقافة (cultural, or culture history)

جاء بعد داروين مفهوم التاريخ الثقافي، أو تاريخ الثقافة، وهي فكرة تقوم بجمع المواقع في "ثقافات" مميزة ، لتحديد مدى الانتشار الجغرافي لهذه الثقافات، وإعادة بناء التفاعلات وتدفق الأفكار بينها. ومصطلح التاريخ الثقافي، كما يوحي اسمه، له علاقة وثيقة بعلم التاريخ. فالمؤرخون يعملون بما يسمى بالنموذج المعياري للثقافة، على مبدأ أن كل ثقافة هي مجموعة من القواعد التي تحكم السلوك البشري. وهكذا، يمكن التمييز بين الثقافات من خلال أنماط من الحرف، على سبيل المثال، إذا تم اكتشاف قطعة فخار مزخرفة بخطوط مموجة، وأخرى بمثلثات، فمن المرجح أنهم ينتمون إلى ثقافات مختلفة.

مثل هذا النهج يؤدي بطبيعة الحال إلى وجهة نظر في الماضي باعتباره مجموعة من السكان المختلفين، مصنفين حسب اختلافاتهم وتأثيرهم على بعضهم البعض. ويمكن تفسير التغيرات في السلوك بانتشار (diffusion) او انتقال الأفكار الجديدة من خلال العلاقات الاجتماعية والاقتصادية من ثقافة إلى أخرى.

مفاهيم نظرية تاريخ الثقافة:

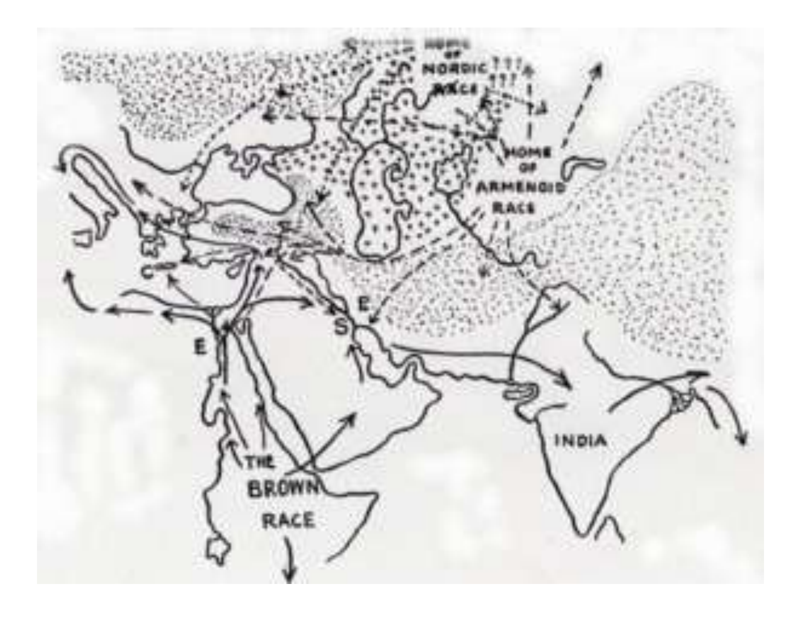
1. الثقافات التاريخية المتميزة:

كانت البدايات الأولى تعتمد على تفسير عملية التغير الثقافي لأحد ثلاثة اسباب: اما ان التغيير حدث بسبب اختراع جديد في داخل الثقافة او بسبب انتشار الأفكار من مجموعة لأخرى بسبب التجارة او بسبب الهجرة، ونعني بها هجرة الأفراد او المجموعات. وكانت النقطة الأساسية لفكرة التاريخ الثقافي هو الاعتقاد بأنه يمكن تقسيم الجنس البشري إلى "ثقافات" مختلفة كانت في كثير من الحالات مختلفة عن بعضها البعض. عادة كان ينظر إلى كل من هذه الثقافات على انها تمثل عرقية المختلفة. ومن وجهة النظر الآثارية، كان يعتقد أنه يمكن تمييز كل من هذه الثقافات بسبب الثقافة المادية لها، مثل نمط الفخار الذي تنتجه او أشكال الدفن الذي مارسته.

2. الإنتشار والهجرة (Diffusion and migration):

تم تفسير التغييرات في ثقافة المجتمع بانتشار الأفكار من ثقافة إلى أخرى، أو عن طريق الهجرة من أفراد مجتمع واحد الى منطقة جديدة، وأحيانا عن طريق الغزو. وكان هذا مناقض لافكار النظرية التطورية التى بالرغم من انها تقبل افكار الانتشار والهجرة كأسباب للتغير الثقافي، فانها كانت تقبل ايضاً مفهوم التطور الثقافي المستقل الذي يمكن أن يحدث داخل المجتمع، وهو من الامور التى لم يكن يقبلها علماء نظرية تاريخ الثقافة.

طرح عدد من علماء آثار التاريخ الثقافي فكرة أن كل المعارف والتكنولوجيا في العالم القديم قد انتشرت من مصدر واحد في الشرق الأوسط، والذي من ثم انتشر في معظم أنحاء العالم من خلال التجارة. على سبيل المثال طرح النمساوي جرافتون إليوت سميث (Grafton Elliot Smith) في نمو الحضارة (1924) (Growth of Civilisation) ، فكرة أن الزراعة والعمارة والدين والدولة قد نشأت كلها في مصر القديمة، حيث كانت الظروف مثالية لتطور مثل هذه الافكار، وانها انتشرت بعد ذلك إلى الثقافات الأخرى. اقترح لورد راغلان (Lord Raglan) في عام 1939، نظرية مماثة لكنه كان يعتقد أن المصدر كان بلاد ما بين النهرين وليس مصر.



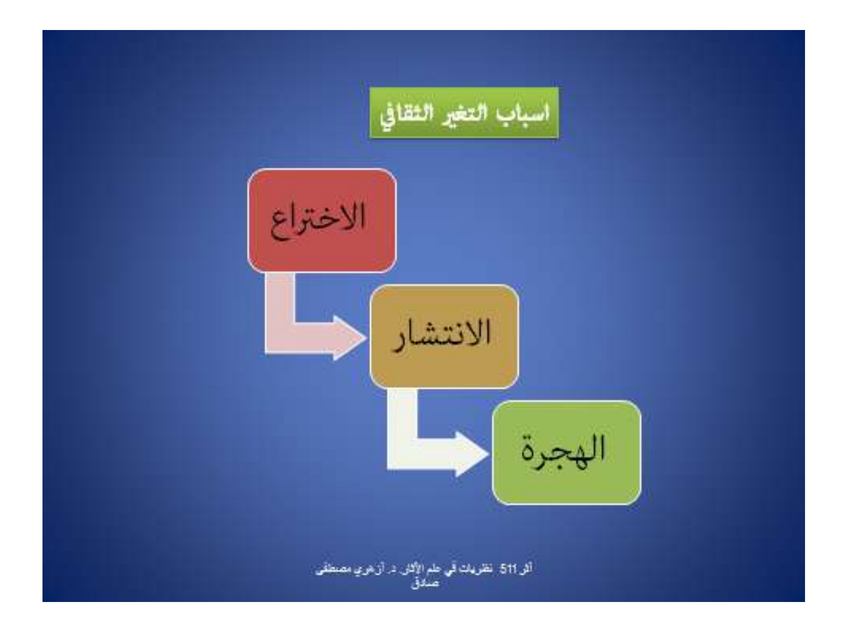
فكرة اليوت اسميث في انتشار الثقافة

3. الاستدلال الاستقرائي (Inductive reasoning):

استخدمت نظرية تاريخ الثقافة منهج الاستدلال الاستقرائي وهو منهج يعتمد على جمع المعلومات التي تستخدم لتوليد الفرضية. بمعنى آخر ان الاستقراء طريقة في كسب المعلومات أو المعطيات الأثرية عن طريق الاستنتاج الحسي أو بالحدس . بمعنى أخر وضع فرضية ، جمع معلومات ، وضع ملاحظات دقيقة حولها ، واستنتاج عام لحل مشكلة موضوع البحث . كل هذه الخطوات تشكل أسس النظرية التي يود الأثريون وضعها . أي أن الاستنتاج يبدأ من الخاص وينتهي بالعام . لكن في كثير من الحالات وجد أن هذه الطريقة غير دقيقة في تحليل الظواهر .

وقد ركز في ذلك بالاعتماد على المعلومات المقدمة من قبل المؤرخين القدماء الذين يمكن أن يفسروا الكثير من الأحداث التى ليس بالضرورة ان توجد في السجل الآثاري. ولما يتعلق الامر بمجتمعات ما قبل التاريخ، من دون هذا السجل التاريخي، فيمكن التعامل معها باستخدام النماذج الموضوعة لفترات لاحقة ، الا انه وبسبب تراكم الادلة الآثارية وضح ان تاريخ الثقافة لا يمكن أن تفسر أي شيء من هذا.

مع ذلك لم تكن فكرة تاريخ الثقافة عديمة الفائدة. فمفاهيم الهجرة لا تزال صالحة في كثير من الحالات، ولم تنتهي اهمية وصف وتصنيف المكتشفات الأثرية.



نقد النظرية:

1. أحد الانتقادات التي توجه لهذه النظرية أنها كثيرا ما ركزت على دراسة شعوب العصر الحجري الحديث والفترات اللاحقة ، وتجاهلت الى حد ما الفترات المبكرة من تاريخ البشرية خلال العصر الحجري القديم، تكون الجماعات الثقافية المتميزة والاختلافات بينها أقل ملاحظة في السجل الآثاري.
2. يرى بعض من علماء الآثار أن استخدام المنهج الاستقرائي لا يفيد في حل مشاكل الأبحاث الأثرية المنهجية والبرنامجية ؛ وهؤلاء يعتقدون أن المنهج الاستدلالي هو الأنسب في حل مشاكل هذا النوع من الأبحاث الأثرية . هذا الاعتقاد الرافض للمنهج الاستقرائي في الأبحاث الأثرية المنهجية والبرنامجية ، في رأي عدد أخر من علماء الآثار هو رفض لكل المعطيات والمعلومات التي جمعت في الماضي ونشرت ؛ ويقول هؤلاء أن المنهج الاستقرائي يجب مراعاته في تنفيذ الأبحاث الأثرية المنهجية والبرنامجية ؛ فهم يرون أن استخدام المنهجين معا ، المنهج الاستدلالي والمنهج الاستقرائي في الدراسات الأثرية ، سوف يؤدي إلى إنتاج منهج متناسق ينتج عنه الخروج بافتراضات جديدة ذات أبعاد أكثر خصوصية ، وتعمم هذه الافتراضات وتخضع لاختبارات متوالية .

أهم باحثي التاريخ الثقافي في بدايات القرن العشرين:

كان عالم الآثار الأسترالي فير جوردون تشايلد (Vere Gordon Childe) من اوائل من عملوا على استكشاف وتوسيع نطاق مفهوم العلاقات بين الثقافات وخصوصا في سياق ما قبل التاريخ في أوروبا. إفترض غوردن شايلد في أعماله أن التغيرات في الماضي قد حدثت نتيجة لما اسماه بالثورات (revolutions). وقد كتب شايلد عن ثورة عصر حجري حديث في فترة ما قبل التاريخ

والتي أدت إلى قيام وتطور الزراعة ثم ثورة حضرية أدت إلى قيام الثورة الحضرية وقيام أول المدن ،وقد كان شايلد من أوائل الآثاريين الذين إهتموا بتلمس المواضيع الشائكة عن لماذا وكيف حدثت الأشياء وتغيرت في الماضي بالرغم من أنه كانت له موهبة عالية في تأليف وتركيب المعطيات ،كما عمل تأسيس التقاويم وتحليل أنواع . ولا تزال كثير من افكار غوردون شايلد تجد التقدير من كثير من الآثاريين



مقارنة بين افكار غوردون شايلد والافكار المبكرة في القرن التاسع عشر

اسئلة نموذجية:

- نشأت نظرية التاريخ الثقافي على عدة مفاهيم. أذكر واحد من تلك المفاهيم.
- كان لنظريات النشوء دورا بارزا في تطور التفكير الأثري. اشرح ذلك باختصار.
- وجه علماء منتصف القرن العشرين العديد من الانتقادات لنظرية تاريخ الثقافة. اذكر اثنان من تلك الانتقادات.
- يعتبر غوردون شايلد من اهم الباحثين الذين دعموا مفهوم تاريخ الثقافة ومن ثم نظرية التطور. بين اهم افكار هذا العالم وقارنها بافكار باحثي القرن التاسع عشر.